المحاضرة الخامسة : الحلول والإتحاد

اختلف المتصوفة في دلالات هذه الكلمة ، وفي ماهية استعمالاتها ، بل يذهب كل فريق فيها مذهبه الخاص ، ويؤولها من منظور تجربته الذوقية ، وبحسب الأحوال والمقامات التي يعاينها .

ومن المصطلحات التي كثر تداولها عند المتصوفة وهي قريبة من مفهوم الحلول ؛ مصطلح الفناء في الذات الإلهية ، ويقصد به :" بطلان شعور المحب بكل ما حوله فلا يدرك في خارج نفسه شيئا " [1]

والمتصوفة يرون أنّ الله يتجلى في كل شيء ، في الإنسان والكائنات والكون " فالصوفي بشكل أو بآخر لا يرى إلا بالله ولا يرى إلا الله ، وبما أن العالم مخلوق والله هو خالقه فأنت حين تنظر المخلوق ترى الخالق بشكل ما ، فلا يمكن الفصل بين المبدع وإبداعه فهما شيء واحد ، فإبداعه هو ذاته ، صورة عنه ومثال يقود إليه " [2]

وشاع عند المتصوفة مصطلح قريب وهو وحدة الوجود ؛ لأن المحب يفنى في محبوبه ويحب بكل قلبه حتى لا يكون هناك فرق بين محب ومحبوب [3]

ووحدة الوجود برز بشكل واضح في كتابات ابن عربي " ومعنى القول بوحدة الوجود أن العالم والله شيء واحد . وبيان ذلك أن المتكلمين والفلاسفة مثلا يرون الوجود وجودين ، واجب الوجود وممكن الوجود ، فواجب الوجود ما كان وجوده لذاته ، وممكن الوجود ما وجد لسبب ، والأول أزلي أبدي ، والثاني محدث فان " [1]

---

[1]) – علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي ، ص 89

[2]) – سفيان زدادقة ، الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، بيروت ، ص 158

[3]) – ينظر : أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج 4 ، ص125

أما مذهب **الحلول** فأول من قال به وعرف به هو الحلاج ، وهو يرى أن الله والعالم امتزجا؛ لتحل الذات الإلهية في الذات الناسوتية ، فيحدث الاتحاد التام بين المحب والمحبوب ليصيرا شيئا واحدا " وفي هذه الحالة يتحدث الفاني عن الله بصيغة المتكلم لأنه قد صار وهو شيئا واحدا ، فليس غريبا إذن أن يقول (سبحاني ما أعظم شأني) وحقيقة قوله : سبحاني أعظم من أن يفهمه مفهم ويعلمه عالم إلا بعد فنائه عن نفسه بكليته حتى يبقى الحق بالحق مع الحق ، فهي إشارة منه به إليه ، وتلك إشارة إلى تنزيه الرجال بعد إدراك الكمال ونهاية الجمال وغاية الجلال والقرار على حال ليس وراءها حال ." [2]

وقد لجأ المتصوفة في تصوير أحوال العشق والحب في أشعارهم إلى قصائد الغزل عند مجنون ليلى وجميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم ، لما لهم من القدرة الفنية واللغوية على رصد أجواء الحب الإنساني ، والتعبير عن أحوال العاشقين ومواجدهم " وقد فطن الصوفية منذ القديم إلى أنّ هذا التشابه لا بد أن يفتح عليهم قالة السوء فلم يتركوه بلا تعليل ، وملخص كلامهم أنهم إنما لجأوا إلى هذا الأسلوب الإنساني في الغزل خشية على معانيهم أن تضيع عند غير أهلها ممن لا يفهمونها أو خشية على أنفسهم من أن ينسبهم أهل الظاهر إلى الكفر فيسلطون عليهم من يهددهم في حريتهم أو حياتهم ، أو أنهم لجأوا إلى هذه الأساليب لأنهم لم يجدوا وسيلة لشرح معانيهم وتقريبها إلى الأذهان خيرا منها ، وهذا التعليل الأخير أقوى ما ذكروه وأدناه إلى القبول. " [3]

وقد عبر **الحلاج** عن مذهب الفناء أو الحلول في هذه الأبيات ، فقال :

---

[1]) – أحمد أمين ، مرجع سابق ، ص 126

[2]) – عبد الحكيم حسان ، التصوف في الشعر العربي الإسلامي ، دار العراب ، دار نور ، دمشق ، 2010 ، ص 287

[3]) – نفس المرجع ، ص289

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

نحن مذ كنّا على عهد الهوى * تضرب الأمثالُ للناسِ بنا

فإذا أبصرتني أَبصَرتــهُ * وإذا أبصَرتـــهُ أبصرتَـــنا

أيّها السائلُ عن قصتِـــنا * لو ترانا لم تُفرّق بينـــنا

روحُهُ روحي وروحي روحُهُ * من رأى روحينِ حلّتْ بدنا [1]

أما **ابن الفارض** ، وهو من القائلين **بالإتحاد** في شعره ، يصف الفناء في الذات الإلهية ، فيقول :

أنتم فروضي ونفلي * أنتم حديثي وشغلي

يا قِبلتي في صلاتي * إذا وقفتُ أصّلي

جمالُكم نصبَ عيني * إليهِ وجّهتُ كلّـي

وسرُّكم في ضميري * والقلبُ طورُ التجلّي

آنستُ في الحيّ نارا * ليلاً فبشّرتُ أهلي

قلتُ: امكثوا ، فلعلّي * أجدُ هُدايَ لَعلّي

دنوتُ منها فكانت * نارَ المُكلِّمِ قبلي

نُوديتُ منها كِفاحًا: * ردّوا لياليَ وَصلي

[1]) – علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي ، ص 258

حتى إذا ما تدانى الـ * ميقاتُ في جمعِ شملِ

صارتْ جباليَ دكًّا * من هيْبةِ المُتجلّي

ولاح سرٌّ خفيٌّ * يدريهِ من كان مثلي

فالموتُ فيه حياتي * وفي حياتي قتلي

أنا الفقيرُ المُعنّى * رِقُّوا لحالي وذلّي [1]

[1]) – ابن الفارض ، الديوان ، ص 119 ، 120